مطلب يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها

في ترك التقية والصبر على القتل إعزازاً للإسلام وقد روي أن مسيلمة
أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
فيّ قال أنت أيضاً فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال ما تقول
فيّ قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلعم
فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق
فهنيئاً له ذلك إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم
بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم
أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم
لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم إن ربك
دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى
إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم يعني أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم
وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محمياً منفوعاً غير مضرور
من بعد ما فتنوا بالعذاب والإكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل
أي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه من بعدها من بعد هذه
الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم أو بإضمار
اذكر فإن قلت ما معنى النفس المضافة إلى النفس قلت
يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي
فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها وكأنه قيل يوم يأتي كل
إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة
عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك
وضرب الله مثلاً قرية أي جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم
فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد
قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت

كانت هذه حالها فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها مطمئنة
لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف
رغداً واسعاً والأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو
جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلعم
بالموسم إنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا فإن قلت الإذاقة
واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة
على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه قلت
أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا و
الشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس
والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك
من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما
غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على
لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه
قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان
لا بد من الإحاطة بهما فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما أحدهما
أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه ههنا ونحوه قول كثير
غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقاب المال
استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما
يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة
الرداء نظراً إلى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله
ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر لي الشطر
الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر أراد بردائه سيفه
ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)